# اللغة العربية بين التأصيل والمعاصرة

الباحثة

استاذ متمرس دكتور أمل عبد الجبار كريم الشرع/ العراق/ الجامعة الإسلامية/ فرع بابل

Amel _Abdul @ yahoo.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على صفوة الخلق محمد صلى الله عليه واله وسلم، وعلى أصحابه الغر المنتجبين، ومن ولاهم بإحسان الى يوم الدين.

وبعد :

تعد اللغة العربية من أرقى اللغات السامية وركنا اساسيا من أركان وحدة الأمة العربية والإسلامية، وهي العمود الفقري لقوتها وبقاءها، وقد شرفها الله تعالى بالقرآن الكريم الذي أنزله قرآنا عربيا، ويكفي فخرا أنها لغة الوحي والرسالة المحمدية، وأنها اخر الديانات في بيئة العرب وصفوة الخلق محمد صلى الله عليه واله وسلم عربيا. قال تعالى : (( فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا))(١).وأهم رابط فيها أنها وحدت الأمة الاسلامية ؛ لأنها لغتها وهويتها.

ونظرا لأهمية الموضوع وارتباطه الوثيق بالقرآن والإسلام، فقد أختار الله هذه اللغة من بين لغات العالم لتكون لغة كتابه العظيم ، وتتجلى أهميتها أيضا في أنها اساسا في الثقافة العربية والإسلامية، لأن ميدانها مختلف عن الثوابت الطبيعية؛ ولأنها متجددة دالة على الحقائق دقيقة في التصوير قال تعالى : ((وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به )) (٢) يعني أن العربية هي روح الله سبحانه

وأن ما ذكرته في البحث لا يتعدى لكونه صورة موجزة عن أهمية اللغة العربية، وعن أثر العرب القدماء في تأصيل اللغة العربية وتطبيقات المعاصرين و المحدثين واتجاهاتهم اللغوية والفلسفية.

ومن الله التوفيق

المحور الأول: أثر العرب القدماء في تأصيل اللغة العربية

من المعروف أن اللغة العربية هي وسيلة ،للتفاهم بين الناس، وتمثل صورة صادقة لحياة الناطقين بها للتعبير عن وعي الإنسان للعالم الخارجي وحاجته واغراضه ولهذا المفهوم فقد حدها ابن جني بقوله : ( انها أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم)(٣). وقد أشار إلى هذا التعريف الفيروز ابادي في قاموسه(٤) ، وابن منظور في لسان العرب(٥) في مادة (لغا)

وقال: لغات، ولغون، ولغا لغوا؛ تكلم ولغا؛ لهج به. وقال الأزهري : واللغة من الاسماء الناقصة، وأصلها لغو من لغا إذا تكلم والغا . وأن لفظة لغة لم ترد في كتاب الله إلا بمعنى اللغو في حين أن معناه اللغوي وضعي اصطلاحي مجازي ، قال تعالى: ((لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم)) (٦) ،واللغوي في الإيمان ما لا يعقد عليه القلب، مثل قولك: لا والله، وبلى والله.

قال الفراء: كأن قول عائشة رضي الله عنها، إن اللغو ما يجري في الكلام على غير عقد، وقال : وهو أشبه ما قيل فيه بكلام العرب .

فاللغو في لسان العرب غير معقود عليه ، ،وجماع اللغو هو الخطأ اذا كان اللجاج والغضب والعجلة، واللغة: اذا حلف بيمين بلا اعتقاد، وقيل الإثم، وإذا قال باطلا وهذي، ومصدره اللغى، قال رؤية بن العجاج: (٧)

ورب أسراب حجيج كظم

عن اللغا ورفث التكلم

وقال الراغب الاصفهاني : لغة بكذا أي لهج به، لهج العصفور بلغاه، أي بصوته ،وبه قيل: للكلام الذي يلهج به الناس فرقة فرقة لغة(٨)

واللغة العربية من أرقى اللغات السامية واوسعها مبنى ومعنى واشتقاقا وتركيبا، قال تعالى: ((وأنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين))(٩) فأنزل سبحانه وتعالى بلسان عربي هو الذي هيأ للعربية أن تصبح لغة معتمدة، نحو قوله تعالى: (( وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم))(١٠) .

إن عظمة القرآن الكريم تولد فينا إحساسا فطريا بقدسية اللغة العربية التي استوعبت الفيض الرائع من الإعجاز القولي في القرآن الكريم لكونها لغة الرسالة المحمدية التي قيض الله لها صفة الخلود، وهي مثل غيرها من اللغات تمثل ظاهرة إجتماعية وتحمل هذا الطابع الاسلامي الذي وحدة الأمة العربية منذ نشأتها الأولى وخلدها بحفظ القرآن، إذن اللغة العربية لها علاقات مرتبطة بنظام؛ وهذه العلاقة تقودنا الى علاقة اللغة بالفكر الاسلامي؛ لأن الفكر لا يعبر عنه إلا باللغة، فهي تعد مرآة صافية عن صاحبها، وهي ليست مجموعة من الكلمات المركبة مع بعضها أو الفاظ مجردة، وإنما لها دلالة تكتسب من خلال اللفظ والتركيب والسياق، وهذا ما نجده في لغة القرآن الكريم تناسقا فنيا بين مفرداته والفاظه بحيث تتلاءم مع السياق والمعطيات من معنى ومغزى وصور وظلال وايحاء، بحيث تتداعى الألفاظ وتتفاوت في الأذهان بمجرد السماع، وهي متسلسلة متناسقة لا تحمل خللا ، بل أحكاما متينا (١١) .

وبما أن القرآن الكريم يعد مصدرا لا ينضب ومعينا فجر ينابيع اللغة وأعظم رافد صقل مواهب العرب وغذاهم بأرقى ملكات الابداع في التعبير والتصوير وصورة موحية ومتحركة المعاني صالحة لكل زمان ومكان ، إلا أن ابن خلدون في مقدمته أشار إلى حقيقة نزول القرآن الكريم بلغة العرب مفادها : ( إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه)(١٢). لذا عنى العرب من بين الأمم باللغة قوموا حضارتهم الإسلامية بها، فجاء القرآن بلغة قريش لانهم أجود العرب انتقاء للأفصح من الالفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق بها وأحسنها مسموعا وأبينها ابانة عما في النفس وأوسعها لفظا واسلوبا ومعنى (١٣) . ليجد السبيل إلى امتلاك الوحدة العربية التي كانت معقدة بالألسنة (١٤) .

ويرى الاوائل من علماء المسلمين أن علم كتاب آلله والتبحر في دراسة لغته الشريفة يعد في أعلى طبقة من طبقات المعرفة، والإقبال على فهم تلك اللغة من الديانة وهو أمر واجب على كل مسلم (١٥) مثلما علم اللغة كالواجب على أهل العلم وفي ذلك الأمر أشار ابن فارس ت ٣٩٥هجرية بقوله: (المتكلم بغير العربية قد يعرب عن نفسه)(١٦) وذكر الشافعي ت ٢٠٤هجرية رحمه الله في رسالته:( فإن من أدرك بالفضيلة في دينه ودنياه فانتفت عنه الريب ونورت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة)(١٧) فاللغة اساس المعرفة الإنسانية ،ولا يمكن للفكر أن يؤدي دوره إلا باللغة ولايثبت الانتماء إلى السماء الذي اراده الله إلا باللغة ،اذن القرآن يحمل الهداية الدينية ويحوطها بالتحدي لهم( رسالة وحدة الأمة لأول مرة في تاريخ الرسالات بين الدليل والمعجزة )(١٨) ،فهو يحمل الفيض الهائل من المعطيات والمعاني الدقيقة والعقائد والقوانين والأحكام المفصلة، فاللغة شرفت بحمل هذه المعطيات الكونية لما لها من خصائص ومميزات، وكان (للقرآن الكريم – ومايزال – الفضل الكبير على اللغة العربية كوعاء شرف يحمل معانيه)(١٩).

باحتوائه علوم الأولين والآخرين، ونبأ بكل شيء فلابد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والالسن ليتم احاطته بكل شيء( فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب ،ومن خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزلة، إنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم )(٢٠).

إن لهجة قريش- فوق الذي احيطت به من مظاهر التقديس- أنفردت حقا بمزايا حفظت لها شخصيتها، وأتاحت لها من أسباب التكامل ما لم يتيح لغيرها، والسبب في ذلك بعدها الذي وصفه ابن خلدون عن بلاد العجم

من جميع جهاتها كان حاجزا طبيعيا من دون كثرة اتصالها بالأجانب، فلم يداخلها من لكنة الأعاجم، ما دخل القبائل المتطرفة التي كانت على إتصال وثيق بمن حولها من غير العرب (٢١)

وأما العربية الباقية فهي التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها والتي لا تزال تستعمل عندنا لغة أدب وتأليف، وقد نشأت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز، ثم أنتشرت في كثير من المناطق التي كانت تشغلها من أخواتها السامية والحامية، وانشعبت منها اللهجات التي يتكلم بها في العصر الحاضر في بلاد الحجاز واليمن، وفي مناطق أخرى من الدول العربية؛ فلسطين ،الأردن، المغرب العربي ،العراق، دول الخليج،.....ومالطة(٢٢) ،ولقد كان حرص العرب على القرآن الكريم هو الداعي لحرصهم على اللغة العربية، ومقاومة ما قد يطرأ عليها من لحن ،وكانوا لا يحابون أي شخص يقع في خطأ، والدليل على ذلك موقفهم من النابغة الذبياني، حينما وقع في الاقواء في شعره والحادثة مشهورة، وكان سوق عكاظ ،والمربع ، وذو مجاز من أعظم المدارس الأدبية التي تعنى باللغة العربية والحفاظ عليها ، مما أدى إلى وقوف الرواة الثقاة موقفا مشرفا فيما رووا عن طريق المشافهة أمثال: عمرو بن العلاء الذي رحل الى البادية فسمع من الإعراب، وأخذ عنهم وحصل على معرفة واسعة بفصاحة العربية، ومواطن هذه الفصاحة.

والاصمعي أيضا التقى بالإعراب من قبائل مختلفة فتهيأة له مادة غزيرة تتصل باللغة العربية وأصولها، وما يتعلق بها وما يتصل بحياة العرب القديمة في البادية ،فقد رحلوا هؤلاء العلماء من البصرة والكوفة الى البادية ،فأخذوا الرواية عن الاعراب وسيلة لضبط اللغة وجمعها، ومعرفة الغريب والنوادر منها، وما يتصل بها من شعر وأخبار لتوثيق الأصول اللغوية التي شملت العربية في أصولها واشتقاقاتها ولغاتها ، وكذلك أبو عمر الشيباني، وابن يونس....وغيرهم( ٢٣) فقد وقف هؤلاء موقف المدافع ؛ فبدأت المصنفات النحوية واللغوية من عمالقة اللغة والنحو أمثال : الخليل، سيبويه، الاخفش، الكسائي، الفراء ....وغيرهم ،فقد بذلوا ما في وسعهم على الرغم من الإمكانيات القليلة التي كانت لديهم، إلا أنهم أعتمدوا على الشواهد الشعرية والنثرية في تقعيد قواعدهم، فقد استعمل هؤلاء النحاة الدقة في استقراء مفردات اللغة ونصوصها استقراء علميا لاستكمال شروط النحو وتقعيد قواعده، وقد يرجع النهوض بالدراسات اللغوية عند العرب نهوضا مبكرا ملؤه النشاط الى الحاجة والتفرقة بين الفصيح ومختلف اللهجات وبينه وبين اللغة الفارسية ،وذلك فضلا عما للعرب من نزعة الى التفقه في اللغة تلك التي تجلت مبكرة في دراسة القرآن اللغوية وفي تفسيره، وقد أشار ابن النديم الى أن كل ما قدموه علماء العربية إلا أنه لم يصل إلينا كتب بعضهم ،فقد ضاعت نتيجة الهجمات الشرسة على الأمة العربية أمثال: كتب عيسى بن عمر ،وكذلك فقدت كتب أبي عبيد القاسم بن سلام، وكتب أبي عمرو بن العلاء وغير هم (٢٤) .

وبما أن اللغة العربية تمثل وحدة الأمة الإسلامية، فهي لغة القرآن الكريم بفصاحته ودقة عباراته وجمال اداءه، فمجيء الاسلام زاد حرص العرب على لغتهم ودفاعهم عنها ؛ لان الله سبحانه وتعالى فضلها وأثنى عليها بقوله : (( ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين))(٢٥) ،ولا ننسى دور الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم في دفاعه عن العربية والحث على التعلم والقراءة الجيدة بعيدة عن اللحن وروي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم أنه سمع رجلا يلحن في كلامه، فقال : (( أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل))(٢٦) ، ونقل عن النبي صلى الله عليه واله وسلم أيضا أنه قال : (( أعربوا الكلام كي تعربوا القران))(٢٧) وروا أيضا أن أحد ولاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب كتابا لحن فيه، فكتب إليه عمر : (إن قنع كاتبك سوطا )(٢٨) ،وروي من حديث علي عليه السلام مع الاعرابي الذي أقرأه المقريء: ((وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم)) (٢٩)

حتى قال الاعرابي : برئت من رسول الله، فأنكر ذلك علي عليه السلام، ورسم لابي الأسود الدؤلي من عمل النحو ما رسمه ما لايجهل موضعه (٣٠).

المحور الثاني : تطبيقات المعاصرين والمحدثين واتجاهاتهم اللغوية والفلسفية

منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورصانة بدقة عباراته وجودة سبكه، ولا يقف عند حدود ما نظره العلماء، وقعدوه ، وأن كان لهم الفضل في إسهامهم في إستجلاء كثير من مضامينه الأدبية والتشريعية والعلمية، ولم يقصروا في هذا الجانب، فقد بذلوا ما في وسعهم على الرغم من الامكانات البسيطة التي كانت لديهم،( فعلوم العرب التي نشأت في ظلال القرآن أول الأمر لتكون دليلا للعرب وغير العرب الى تحقيق ادائه أداء سليما، وتصحيح قراءته والدلالة على وجود اعجازه)(٣١) ، فقد فتح القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه واله وسلم للغة العربية أبوابا كثيرة في فنون القول ، فعولجت بها أمور لم تكن العربية لتعنى بعلاجها من قبل ذلك ؛ كمسائل القوانين ، والتشريع ، والقصص ، والتاريخ ، والنظم السياسية ، والإصلاح الإجتماعي، والعقائد ، والجدل ، والقضاء ، والمعاملات، والتأليف، والرد على المذائق الزائفة، ومقاومة الزندقة والإلحاد.....الخ(٣٢)

فالمعروف عن اللغة انها على مر العصور تتطور وتتغير تبعا للظروف الاجتماعية والحضارية والثقافية، فاللغات كانت في بواكيرها ذات جرس وايقاع حاديين ، وما تزال لغات الأقوام البدائية - الى اليوم – مغرقة في الايحاءات الصوتية، في حين نجد لغات الأقوام المتحضرة مشذبة ذات جرس وايقاع منخفضين، فالإيقاع الصوتي في لغة الاعراب أشد منه في لغة القرى، وفي الحياة المدنية يتسم بشيء من الخفوت (٣٣) ، ويذكر لنا الجاحظ ت ٢٥٥هجرية : ( بأن الصوت هو الة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوحد التأليف، ولن تكون حركة اللسان لفظا ، ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت )(٣٤) ، فوصف الله سبحانه وتعالى بابلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان بقوله : (( خلق الإنسان علمه البيان))(٣٥)، فالله سبحانه وتعالى خص اللسان العربي بالبيان، لان (من تمام حسن البيان باللسان)(٣٦)، وعلم ان سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه. وتختلف لغة القرآن أختلافا غير يسير عن لغة الشعر، فهي تعرض من حيث هي أثر لغوي صورة فذة لا يدانيها أثر لغوي في العربية على الإطلاق ؛ لكن علاقة القرآن بالشعر تقوم في جانب منها على التماثل، وتقوم في جانب آخر على المخالفة، أي أنها علاقة جدلية بدأت من المفاهيم والتصورات الاساسية في الثقافة.

ففي القرآن الكريم لأول مرة في تأريخ العربية ينكشف الستار عن عالم فكري تحت شعار التوحيد، بحيث لا تعد لغة الكهنة والعرافين الفنية المسجوعة إلا أنموذجا واهيا له ، من حيث ظاهر وسائل الأسلوب، ومسالك المجاز في اللفظ والدلالة(٣٧).

أما الشعر فقد نال حظا وافرا بفضل القرآن الكريم، مما جعل علماء العربية أن يبنوا عليه قواعدهم اللغوية والنحوية مستشهدين به ومؤيدين لما ورد في القرآن الكريم من الفاظ ومعان كانت العرب تستعملها في شعرها، فالعمل الأدبي عمل فني، وأن الابداع فيه يحتاج إلى صور ومعان جديدة لا يتم التوصل إليها في أكثر الأحيان إلا بكسر طوق الدلالات ،أو تطويع لفظة يصوغها في سياقات متعددة، وأن تطويع اللغة ، أو صوغها لا تتأتى لكل شاعر، فهي وليدة عبقرية وبراعة فنية، فاللغة إذن مادة الأديب وهي موسيقاه وفكره يمكنه بواسطتها التعبير عن تجربته الفنية بصورة نابضة حية ، وأن الوظيفة الاساسية للغة البشرية هي السماح لكل إنسان يوصل ما لنظائره تجربته الشخصية، فالشاعر يأتي بالبيان والإفصاح عن طريق اللغة بوصفها خطوة في سبيل الكشف عن النفس، وعن الكون أيضا (٣٨)

فالكفاءة اللغوية تكون معيارا للأديب أو الشاعر الناجح، وتتجلى في جودة الشعر وبراعته في فنه من خلال قدرته على تطويع اللغة والسيطرة عليها ورؤيته الجديدة لها ، وأن يخلق بقوة خياله الجو الشعري الذي يريده.

لذا أدرك المسلمون الأوائل أن النص القرآني غير منعزل عن الواقع، ومن ثم لم يجدوا حرجا في فهم النص في ضوء النصوص الاخرى خاصة الشعر ، وكان المبدأ منذ المحاولات الأولى للتفسير ،فقد قال ابن عباس رضي الله عنه : الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه، وقال ابو عبيدة : يعني يستشهد به على التفسير(٣٩) .

فعلماء العربية وضحوا معانيهم وبنوا قواعدهم اللغوية والنحوية مستشهدين به؛ لأن في القرآن الكريم الفاظا ومعانى كانت العرب تستعملها في شعرها، فأرادوا تبين الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لان الله تعالى قال

: (( إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون))(٤٠) ، وقال : ((لسان عربي مبين ))(٤١) ، فقد جاء نافع بن الازرق الى ابن عباس ، فقال : سلني عما بدأ لك، فقال نافع: أخبرني عن قوله تعالى:(( عن اليمين وعن الشمال عزين))(٤٢) ،قال : [العزين] الحلق الرقاق، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم، أما سمعت قول الشاعر عبيد بن الابرص يقول :

فجاءوا يهرعون إليه حتى

يكونوا حول منبره عزينا

وقوله تعالى: ((لقد خلقنا الإنسان في كبد))(٤٣)، قال ابن عباس:[ في اعتدال واستقامة ]، أما سمعت قول لبيد:
يا عين هلا بكيت أربد إذ

قمنا وقام الخصوم في كبد

قال نافع: أخبرني عن قوله تعالى: (( وحنانا من لدنا))(٤٤)، قال ابن عباس: [رحمة من عندنا] قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال ابن عباس : نعم أما سمعت قول طرفة بن العبد يقول :

أيا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فالأديب الناجح هو الذي يستطيع أن يخلق بقوة خياله الجو الشعري الذي يريده ،وعبقرية الأديب تتجلى في الصورة النهائية التي يضع فيها الحقيقة، وموهبته تتركز في الخطوط التي تألفت لتحمل الى النفوس أدق صورة ممكنة للحقيقة التي عاشها الأديب، وأراد أن يكشف الغطاء عنها بفضل اتساع اللغة وارتقائها في ناحية المعاني والاخيلة والتشبيه والأساليب وتهذيب هذه الأساليب باستعمال الحجج العقلية والبراهين الفلسفية (٤٥) ،فالفن الأدبي يتخذ اللغة وسيلة للتعبير عن الحقائق وبما أن اللغة ظاهرة إجتماعية والأدب وليد الحياة المعاصرة وفنهم الأوحد ووسيلتهم للتعبير عن وجدانهم، فالشاعر يستعمل لغة الجماعة ؛ لأنها لغته ولان من شرف القيادة الوجدانية لشاعر القبيلة ان يصير شاعر الأمة يحمل هويتها والتكلم بلسانها.

إذن فاللغة لن تكن حكرا على الشعراء أو الادباء، وإنما فتحت بفضل القرآن الكريم آفاقا جديدة للبحث عن علم البلاغة، فالشاعر نفسه ياتي بالبيان والإفصاح عن طريق اللغة بوصفها خطوة في سبيل الكشف عن النفس، وعن الكون أيضا (٤٦) ،وقد أشار الخطابي وغيره من البلاغين القدامى الى أن القول بأعجاز القرآن وفصاحته وبلاغته، وحسن تأليف الفاظه، وغير ذلك من مميزات الاسلوب لم يكن ليفترق عن القول بإعجازه في معانيه ومضامينه ومقاصده واغراضه (٤٧) .

ويقول الدكتور زكي مبارك: وينبغي أن لاياخذنا الظن فنقصر إعجاز القرآن في بلاغته متجاهلين مضمونه، فتقع في اللفظة المفردة التي كثيرا ما أفسدت على القرآن جلاله وجماله، وجنت على مكانته ككتاب هدائي حضاري، ولمثل من يقف هذا الموقف يقال : ( علمك كله لفظة، وروايتك حفظ ،وعملك كله رفض )(٤٨)

إن المتبع لبلاغة القرآن تبهره البلاغة المعجزة، فلا يخلو من محسنات لفظية ولا اسلوبية ولا الإيقاع الموسيقي، ولا التصوير الفني ،فضلا عن تراكيب جمله وتناسق آياته .

فالعرب لهم المقدر على فهمه ومعرفة معانيه من حيث الألفاظ المفردة والتراكيب النحوية، وكانوا يعرفون ما فيه من البلاغة ، ويقول أبو هلال العسكري : ( إن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة ومعرفة الفصاحة .....ويقول أيضا: قد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل

بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ماخصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الايجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمنه من الحلاوة ،وجلله من رونق الطلاوة مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها....الى غير ذلك من محاسنه التي أعجز الخلق عنها ، وتحيرت عقولهم فيها، وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه)(٤٩) ،فالعربي على فطرته له ذوق رفيع تبهره الاستعارة الهادفة، والتشبيه المصيب، ويقف عند العبارة الفصيحة والمجاز.

أما بالنسبة للوظيفة الأساسية للغة البشرية،( فهي السماح لكل إنسان ان يوصل لنظائره تجربته الشخصية) (٥٠) فقد كان تشو مسكي دقيق الصلة في شبابه باللغة وأدابها ، وميز بين اللغة والكلام ، وقال :(هما الكفاءة اللغوية والممارسة اللغوية ) (٥١) ،كما كان وثيق الصلة باللغة العبرية لغة قومه.

والمستشرق وزنتال من المستشرقين الذين كانوا يعرفون العربية ونحوها، ومعناها، أما أوستن فقد أنطلق في عمله اللغوي من التميز بين اللسان والخطاب، في حين دي سوسير أنطلق من اللسان لكي يعرف الكلام، فالخطاب عنده نشاط إنساني ينطلق من حدث ، أو مثير محدد يحدث بسببه تواصل بين متكلم ومخاطب، بواسطة اشارات لفظية منظمة حسب شفرة مشتركة، أما اللسان عنده فهو مجموع المعارف المتعلقة بهذه الشفرة، وبهذه الاشارة، وتسمح بالتواصل،

ويرى غاردنر أن الجمله هي وحدة الخطاب ،وأن الكلمة هي وحدة اللسان، وقد تكون الجملة كلمة واحدة (٥٢)، نحو ما ذكره النحاة في باب التحذير في قولهم : (الأسد ) ،فالجملة هنا اختزلت في كلمة واحدة وتقدير النحاة : أحذر الأسد، ونحوهما مما يدل على هذا المعنى (٥٣)، واستعمل غادرنر هذا التميز ليصل إلى (أن الخطاب أصل اللسان، فاللسان هو نتيجة استعمالات خطابية لا حصر لها ، فينبغي أن ندرس الخطاب المكون للسان كما ندرس اللسان نفسه)(٥٤) .

أما المستشرق الفرنسي ريجس بلاشير في محاضرة له أن يقول : (ومنذ ظهور الإسلام لم تعد اللغة العربية الة عادية للكلام والتخاطب، ولا لغة إنسانية محضة، بل شيئا آخر، نعم لن نفهم جوهر اللغة العربية و كيانها ؛ بل نستطيع لها فهما إن نحن

أهملنا أهمية هذا الحدث القرآني، وهذا الحدث الذي بفضله تجاوزت اللغة حدود الإنسانية المحضة) (٥٥).

فالدراسات اللغوية والبلاغية لاتقف عند هذا الحد، فقد اتصلت بالعلوم الإنسانية؛ كالفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس ....وغيرها، وقد أدى هذا الاتصال الى فتح آفاق جديدة لمعالجة كثير من هذه العلوم، ونقل التقنيات الحديثة بلغة سليمة لكي يجعلوا الفصحى أداة التفكير والكتابة، وعدم تداول العامية في الأوساط الثقافية والعلمية حتى تنشأ جيلا يحترم لغته.

الخاتمة

فالبحث محاولة متواضعة في ميدان اللغة العربية، وعن كيفية الصلة بين العربية والقرآن الكريم، وهو المصدر الاساس لهذه الثقافة، والمشتمل على اصول العلوم المختلفة ، وبيان اراءالقدماء والمحدثين والمعاصرين في تأصيل اللغة، فاللغة تعد تعبيرا عن الواقع، وماكان وما يكون بالإيحاء والاشارة والايماء، وقد واجهت الثقافة الإسلامية تحديات عدة من هجمات عسكرية ظالمة، استهدفت وجودها وثقافتها من أجل أضعاف وحدة الأمة العربية ومسخ هويتها ،وقتل العلماء واحراق نتاجاتهم العلمية بحجج واهية القصد منها هو تجفيف منابع الثقافة الإسلامية؛ فضلا عن غزو الأفكار والعقول لإضعاف الثقافة الإسلامية ، إلا أنها تحدت الصعاب وتجاوزت مشكلات كثيرة واجهتها، فقد استطاعت أن تحتفظ بخصائصها السامية الأم ،قال تعالى : ((ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا)) (٥٦)

وقال الإمام علي عليه السلام: (( ألا وأن الشيطان قد ذمر حزبه، وأستجلب جلبه ليعود الجور الى أوطانه، ويرجع الباطل الى نصابه ....))(٥٧)

فاللغة قادرة على أن تضم كل ما تستجد في الحياة من فكر وأحداث ما لم تستوعبه أي لغة أخرى دليلها الاشتقاق والتصريف والتوليد.

الهوامش

١-مريم : ٩٧.

٢- الشورى: ٥٢.

٣-الخصائص: ٣٣/١.

٤-القاموس المحيط: مادة لغا.

٥-لسان العرب: مادة لغا.

٦-البقرة: ٢٢٥، والمائدة: ٨٩.

٧- الكتاب: ٥٩٩/٣، وينظر : سر صناعة الاعراب:٦٠٤/٢، ٦١٥.

٨- المفردات في غريب القرآن: ٤٥٢

٩- الشعراء: ١٩٢-١٩٥.

١٠-إبراهيم : ٤.

١١- ينظر : الإعجاز الفني في القرآن:١٦٤.

١٢-المقدمة: ٩٩٦.

١٣-ينظر: دراسات في فقه اللغة١١٢.

١٤- ينظر: الخطاب القرآني ١١٨.

١٥- ينظر: منهج البحث اللغوي: ٦٠.

١٦- الصاحبي: ٤٤.

١٧- الرسالة: ١٩.

١٨-المقايس الإسلامية: ٩.

١٩- الدراسات اللغوية للقران الكريم: ١٩.

٢٠- الاتقان: ٤٣٠/٣.

٢١- ينظر: دراسات في فقه اللغة: لصبحي الصالح :١١٢.

٢٢- ينظر : فقه اللغة: لعلي عبد الواحد وافي : ٩٨.

٢٣- ينظر : العربية بين أمسها وحاضرها: ٣٥.

٢٤- ينظر: الفهرست: ٦٣، ونشأت النحو:٦٢،المعجم اللغوي التاريخي:٣.

٢٥- النحل : ١٠٣.

٢٦- الخصائص: ٨/٢.

٢٧- الأضداد لابن الانباري: ٢٤٤.

٢٨- الخصائص: ٨/٢.

٢٩- التوبة : ٣.

٣٠- ينظر : الخصائص: ٨/٢.

٣١- الخطاب القرآني: ٤-٥.

٣٢- فقه اللغة:١١٨-١١٩.

٣٣- ذو الرمة شمولية الرؤية وبراعة التصوير : ٣٢-٣٣.

٣٤- البيان والتبين: ٧٩/١.

٣٥- الرحمن : ٣-٤.

٣٦- المزهر: ٣٢١/١.

٣٧-الاتقان: ٣٨٧/٢.

٣٨- ينظر : الكلمة دراسة لغوية معجمية: ٧.

٣٩- لمزيد من التفاصيل: ينظر : الاتقان : ٣٨/٢.

٤٠- الزخرف: ٣.

٤١- النحل : ١٠٣.

٤٢- المعارج: ٣٧.

٤٣- البلد : ٤.

٤٤- مريم : ١٣.

٤٥- ينظر قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث:٤٠-٤١.

٤٦- الكلمة دراسة لغوية معجمية: ٧.

٤٧- إعجاز القرآن: ٢٥.

٤٨- تجديد الفكر الديني: ١٠٠.

٤٩- كتاب الصناعتين: ٩.

٥٠- اللغة العليا: ٣٧.

٥١- نظرية تشومسكي: ١٣.

٥٢- منزلة معاني الكلام: ٣٠.

٥٣- شرح الرضي على الكافية: ٤٧٩/١.

٥٤- منزلة معاني الكلام:٣٠.

٥٥- التطور اللغوي التاريخي: ٦٧.

٥٦- مريم: ٨٣.

٥٧- نهج البلاغة رقم الخطبة: ٢٢.

مظان البحث

القرآن الكريم.

1-الأتقان في علوم القرآن- للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،تحقيق-أحمد بن علي- دار الحديث القاهرة ١٤٢٧هجرية -٢٠٠٦م

٢-الأضداد في كلام العرب -لابي الطيب اللغوي ابن الانباري،تحقيق- د-عزة حسن – دمشق ١٩٦٣م.

٣-الإعجاز الفني في القرآن-لعمر السلامي-نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبداللة- تونس ١٩٨٠م.

٤-إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران-لابي سليمان أحمد بن محمد الخطابي، تحقيق- محمد خلف الله، ومحمد زغلول-دار المعارف بمصر-د-ت.

٥-البيان والتبين- لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح- عبد السلام محمد هارون ،الناشر- مكتبة الخانجي القاهرة ط٥ – ١٤٠٥هجرية- ١٩٨٥م .

٦- تجديد الفكر الديني- د – زكي مبارك نجيب-دار الشروق-بيروت ط١ – ١٤٠٢هجرية- ١٩٨٢م.

٧-التطور اللغوي التاريخي-د-إبراهيم السامرائي-دار الأندلس بيروت ط٣ – ١٩٨٣م.

٨- الخصائص – لابي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق- محمد علي النجار-دار الكتاب العربي-بيروت - ١٣٧١هجرية-١٩٥٢م.

٩-الخطاب القرآني ،دراسة في العلاقة بين النص والسياق-د-خلود العموش- جدارا للكتاب العالمي- الأردن ط١- ١٤٢٩هجرية – ٢٠٠٨م.

١٠- الدراسات اللغوية للقران الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري، د- عيسى شحاتة عيسى علي- دار قباء للطباعة مصر- ٢٠٠١م .

١١-دراسات في فقه اللغة، د- صبحي الصالح- دار العلم للملايين- بيروت ط٧ – ١٩٧٨.

١٢-ذو الرمة شمولية الرؤية وبراعة التصوير، د- خالد ناجي السامرائي-دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ط١ ٢٠٠٢م.

١٣- الرسالة، تحقيق- أحمد محمد شاكر الحلبي ط١ ، ١٣٥٨هجرية -١٩٣٨م.

١٤-سر صناعة الاعراب- لابي الفتح عثمان بن جني، تحقيق- د، حسن هنداوي ط١، دار القلم- دمشق، ١٤٠٨هجرية-١٩٨٨ م.

١٥- شرح الرضي على الكافية ، تحقيق – يوسف حسن عمر – جامعة قار يونس ،١٣٩٨هجرية – ١٩٧٨م.

١٦- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها -لابي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق- عمر فاروق الطباع، ط١- مكتبة المعارف- بيروت -١٤١٤هجرية-١٩٩٣م.

١٧- العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب- ليوهان فك – القاهرة ط١- ١٩٨٠م.

١٨-اللغة العليا- لجون كوهين -ترجمة د – أحمد درويش- المجلس الاعلى للثقافة- ١٩٩٥م.

١٩- فقه اللغة- د، علي عبد الواحد وافي- دار النهضة- مصر للطباعة والنشر – الفجالة - القاهرة ط٧- ١٩٧٣م.

٢٠- الفهرست – لمحمد بن اسحاق المعروف بابن النديم-دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة- تونس - ١٩٩٤م .

٢١- القاموس المحيط- للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي-إعداد وتقديم – محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٢ ١٤٢٤هجرية – ٢٠٠٣م.

٢٢-قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث – د، محمد زكي العشماوي- دار النهضة العربية- بيروت ١٤٠٤هجرية- ١٩٨٤م.

٢٣-كتاب سيبويه- لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح – عبد السلام محمد هارون ، الناشر- مكتبة الخانجي- القاهرة ط٣- ١٤٠٨ هجرية-١٩٨٨م.

٢٤-كتاب الصناعتين- الكتابة والشعر- لابي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ،تحقيق- د، مفيد قميحة- دار الكتب العلمية- بيروت، ط١،١٤٠١هجرية – ١٩٨١م.

٢٥- الكلمة دراسة لغوية معجمية، د- حلمي خليل- الهيئة المصرية العامة للكتاب – الإسكندرية ١٩٨٠م.

٢٦- لسان العرب- للعلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري- دار صادر، بيروت ط٤- ٢٠٠٥م.

٢٧-المقاييس الإسلامية في الدراسات القرآنية- د، جمال حضري- بيروت، ط١- ١٤٣١- ٢٠١٠م.

٢٨- مقدمة ابن خلدون - للعلامة عبد الرحمن بن خلدون- بعناية د، علي عبد الواحد وافي- لجنة البيان العربي ط٢- ١٩٦٥م.

٢٩- المزهر في علوم اللغة وانواعها- لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،تحقيق- محمد أبي الفضل إبراهيم وآخرون- بيروت- ١٩٨٦م.

٣٠- المفردات في غريب القرآن- للراغب الاصفهاني الحسين بن محمد الفضل – مطبعة عيسى البابي الحلبي-القاهرة- ١٣٨١هجرية – ١٩٦١م.

٣١-المعجم اللغوي التاريخي – للمستشرق – فيشر- المركز العربي للبحث والنشر- القاهرة ،ط١- ١٩٨٣م.

٣٢- المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم- وضعه -محمد عبد الباقي – مكتبة المظفر الثقافية ،د- ت.

٣٣- منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية مقارنة تداولية- لمعاذ بن سليمان الدخيل- دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، ط١- ٢٠١٤م.

٣٤- منهج البحث اللغوي- د، محمود سليمان ياقوت- دار المعرفة الجامعة- ٢٠٠٢م.

٣٥ -نشأت النحو وتأريخ أشهر النحاة- لمحمد الطنطاوي- تعليق- عبد العظيم الشناوي، ومحمد عبد الرحمن الكردي ،ط١ -١٣٨٧هجرية – ١٩٦٨م.

٣٦- نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة – د، حلمي خليل- دار المعرفة – جامعة الإسكندرية- ١٩٨٥م.

٣٧- نهج البلاغة – من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام، الناشر – مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر قم - ط٢- ١٤٢٥هجرية- ٢٠٠٤م.